مراحل التعليم ونظام التهذيب في جمهورية افلاطون

د. طه جزاع
مركز البحوث التربوية والنفسية / جامعة بغداد

مقدمة

يحتل افلاطون (427-327 ق.م) المكانة الاولى بين الفلاسفة والمفكرين والمربين على امتداد تاريخ البشرية ، ويعد بعض الباحثين كتابه الشهير(الجمهورية) كتاباً في التربية والتعليم قبل ان يكون كتاباً في الاخلاق والسياسة ، فهذا الكتاب – المحاورة ضم بين دفتيه أجوبة على الكثير من الاسئلة التربوية والتعليمية عوضاً عن مضامينه الاخلاقية والسياسية والمعرفية والنفسية ، التي ساقها افلاطون باسلوب ادبي متين على شكل محاورة طويلة تجري بين استاذه ومعلمه سقراط وجمعاً من مريديه وتلامذته ، وتبدأ بمناقشة حقيقة العدالة وتحديد معانيها ، وصولاً الى بناء اركان الدولة المثلى التي يحكمها الفلاسفة الذين يعرفون حقيقة الخير ويعملون على تحقيق العدالة الاجتماعية ، غير ان هذا الهدف لايمكن ان يتحقق بسهولة اذ لابد من التهيئة والاعداد والتدريب والتهذيب والامتحان العسير لافراد المجتمع وفرز من يصلح منهم لاداء الاعمال الخدمية التي تحتاجها الدولة والمجتمع ، ومن يصلح للدفاع عنها وخوض الحروب ، واخيراً من هو الصالح والاكثر كفاءة وعلماً وخبرة للقيام باعباء الحكم وتخليص مجتمعه من الشرور والاثام والويلات وبسط العدالة باسمى معانيها.

إن المنهاج الافلاطوني للتهذيب والتربية والتعليم والتدريب لا يهمل جسد الفرد على حساب الاهتمام بالعقل والنفس وحدهما ، انما هو منهاج متوازن يهتم بتهذيب وتدريب الجسد والنفس والعقل معاً ، بالتدريبات والتمارين الرياضية وبالعلوم والاداب والفنون والفلسفة التي يتلقاها الافراد في كل مرحلة من مراحل التعليم مع اخضاعهم لاختبارات وامتحانات في نهاية كل مرحلة كشرط اساس لاجتيازها الى المرحلة اللاحقة مع تحديد فترة زمنية لكل مرحلة مرتبطة بعمر الفرد واستكماله لقدراته العقلية والجسدية. ومع ان متغيرات كثيرة قد طرأت على طبيعة التفكير الانساني منذ ان وضع افلاطون محاورة (الجمهورية) قبل حوالي 2427 عاماً (زمن المحاورة 321 ق.م) الا أن المبادئ الاساسية لتربية وتهذيب وتدريب النفس والجسد مازالت صالحة وستبقى كذلك لانها مبادئ عامة قائمة على اسس عقلية وتربوية تنطبق على الانسان في كل زمان ومكان ، اما الاعتراضات التي يسوقها عدد من

الباحثين فهي لاتمس جوهر المنهاج الافلاطوني أنما تتعلق بمراحل متقدمة من هذا المنهاج حين يطبق على طبقة الحراس والحكام ن ونقصد بذلك شيوعية النساء. وتحديد النسل ، وعدم السماح لهم بالملكية الخاصة ، وغير ذلك من آراء لاتعنينا كثيراً في بحثنا هذا.

اهمية البحث :

تتمثل اهمية البحث في دراسة كتاب مهم ترك اثراً بالغاً في مسيرة الفكر الفلسفي بجوانبه الاخلاقية والسياسية والتربوية على امتداد عدة قرون، وتردد صداه في نتاجات المفكرين والفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين والتربويين ورجال السياسة والحكام حتى يومنا هذا ، كما تتمثل في ان صاحب الكتاب – المحاورة– هو احد نوابغ الفكر الانساني ان لم يكن في مقدمتهم بلا منافس منذ البدايات الاولى للفكر الفلسفي في القرن السادس قبل الميلاد وحتى العصر الحديث.

اهداف البحث :

إستخلاص الآراء التربوية والتعليمية من مجموعة الكتب التي تضمها محاورة (الجمهورية) لافلاطون ، وتتبع المراحل التعليمية المختلفة التي تمثل نمطاً او نظاماً من انظمة التهذيب للنفس والجسدي ، والخروج بنتائج توضح أهمية هذا النظام التهذيبي والتدريبي للنفسي البشرية والذي لا يهمل الجسد ويعطيه الاهمية الى جانب النفس ، لأن النفوس الصحيحة تكمن في الاجساد الصحيحة ، وبالتالي الاستفادة من الاراء الافلاطونية في بناء مناهج التعليم والتهذيب.

الفصل الاول : إفلاطون ، حياته ، مصنفاته

1. حياته

إختلف المؤرخون حول السنة التي ولد فيها افلاطون ، هل هي سنة 427 أو 428 أو 429 قبل الميلاد لكن الارجح انها سنة 427 وكان مولده في جزيرة لاتبعد كثيراً عن اثينا تسمى ايجينا ، اما وفاته فكانت سنة 347 ق. م وبذلك يكون قد عاش ثمانين عاماً(الاهواني : 1971 ، 9).

ولد افلاطون في اسرة ارستقراطية اثينية فأبوه ارسطون كان من احفاد كودروس آخر ملوك اثينا وأمه كانت من حفيدات ذروبيس صديق الحكيم سولون مشرع أثينا ، وكانت نبالة الاصل ووشائج القربى هذه ترشح افلاطون للعمل في مضمار السياسة (طرابيشي : 1987 ، 64). وإذا ما اردنا تقسيم حياته فسنجد انها تنقسم الى ثلاث مراحل : الاولى تمتد من نشاته صبياً ثم لقاءه بسقراط وهو في العشرين من عمره حتى وفاة استاذه سقراط ، والمرحلة الثانية تبدأ بعد موت سقراط وتنتهي بتأسيس الاكاديمية وكان ذلك حين بلغ الاربعين من عمره ، اما المرحلة الثالثة وهي مرحلة الاستاذية فتبدأ من عهد الاكاديمية حتى وفاته.

عاش افلاطون طيلة حياته مؤمناً بان صلاح الدول في اقتران الفلسفة بالسياسة واتصاف الحاكم بالحكمة ، ولاغرابة في ذلك لانه نشأ في بيت من الحكام وكان اجداده من الملوك والمشرعين ، ولكنه اضاف الى السياسة الموروثة شيئاً جديداً هو الفلسفة. وكان اجتماعه بسقراط مرحلة انقلاب في حياته، ذلك ان افلاطون نشأ في رفاهية وثروة ورخاء ولا ينتظر ان ينشأ الفلاسفة من مثل هذه الحياة المرفهة ، ولكن روحه الرقيقة الاحساس وجدت جذلاً لا يحد في طريقة سقراط الجدلية فصار شغوفاً بمعلمه وبالحكمة والجدل والتحليل والمناقشة حتى صار يشكر الله لانه ولد في عهد سقراط الحكيم (خباز : 1929 ، ح) ، وكان يمكن لافلاطون شأنه شأن شباب اثينا المنحدرين من أسر ارستقراطية عريقة ان يكرس نفسه للسياسة لكنه كره السياسة بعد ان انحدرت حكومة الاقلية الارستقراطية الى الغوغائية والجرائم السياسية وبدأت بملاحقة سقراط ، حتى اذا جاء الديمقراطيون كانوا اسوأ من حكومة الاقلية بكثير اذ انهم هم الذين دبروا التهم لسقراط وحاكموه تلك المحاكمة التي انتهت بادانته والحكم عليه بتجرع السم حتى الموت وكان ذلك سنة 399 ق.م. وقد حضر افلاطون محاكمة استاذه لكنه لم يشهد موته لانه كان قد اعتزل في مدينة ميغارا ولاذ بالفيلسوف اقليدس الميغاري قبل ان يعود الى اثينا حوالي سنة 388 ق.م ليؤسس الاكاديمية بالقرب من ضريح البطل الرياضي اكاديموس ، ومن هنا سميت (الاكاديمية) بهذا الاسم لتكون اول جامعة علمية اوربية شملت الدراسة فيها جميع فروع العلم من رياضيات، وفلك، وفيزياء، وطبيعيات، وموسيقى، ويتوج تدريس هذه العلوم بالفلسفة لتكوين السياسي الناجح والمثقف الكامل (بدوي : 1984 ، 155-156).

وفي هذه الاكاديمية كان افلاطون يلقي دروسه لشباب قدموا من كل انحاء بلاد اليونان ومن خارجها ايضاً ، وهذه الدروس لم تنشر لانها كانت موجهة للتلاميذ اما (المحاورات) فكانت موجهة لعامة الناس ولذلك لم يصلنا شيء من دروسه ومحاضراته ، غير ان المحاورات قد وصلتنا بأكملها تقريباً ، وكان اعظم تلاميذه في هذه الاكاديمية هو ارسطو طاليس الذي التحق بها سنة 367 ق.م ليصبح بعد ذلك من اكبر الفلاسفة في تاريخ العالم الى جانب استاذه افلاطون مع ما هو موجود من اختلاف واسع

بينهما، فقد كانت فلسفة افلاطون فلسفة غضة حالمة تثير الحب والالهام وتحرك المشاعر الفياضة ، في حين كانت فلسفة ارسطو فلسفة منطقية طويلة النفس كل شيء يجري فيها بدقة باردة ويدور على منوال التجريد، وهي ايضاً فلسفة واقعية تقبض على الوجود المحسوس بكلتا يديها وتطلب دائماً المعقول الذي هو شغلها الشاغل ، والى ارسطو يعود الفضل في تنظيم الفلسفة اليونانية وتفريع العلوم منها وايجاد المنطق مرتباً منظماً حتى لقب من اجل ذلك كله بالمعلم الاول(مرحباً : 1980 ، 156).

2. مصنفاته

يطلق على الكتب والمصنفات التي تركها افلاطون اسم (المحاورات) وعدد المحاورات التي بين ايدينا ستة وثلاثون ، ثمان وعشرون منها صحيحة النسبة اليه ، وست منحولة واثنتان مشكوك فيهما. وهذه هي المحاورات التي ثبت صحة نسبتها الى افلاطون مع موضوعاتها كما رتبها الاستاذ تيلور (Taylor : 1948 ، 562).

محاورات افلاطون

ت	اسم المحاورة	موضوعها
1	هبياس الكبرى	في الجميل
2	هبياس الصغرى	في الحق والباطل
3	إيون	في شعر هوميروس
4	منكسينوس	خطبة رثاء
5	خرميدس	في العفة
6	لاخس	في الشجاعة
7	ليسيس	في الصداقة
8	اقراطيلوس	في اللغة
9	أوثيديموس	في الحياة الفلسفية
10	جورجياس	في الاخلاق السياسية
11	مينون	في ان العلم تذكر
12	أوطيفرون	في التقوى
13	الدفاع	دفاع سقراط
14	أقريطون	الخضوع لقوانين الدولة
15	فيدون	في خلود النفس
16	المأدبة	في الحب
17	بروتاغوراس	في السفسطائيين
18	الجمهورية	في المدينة الفاضلة

19	فيدروس	في البلاغة
20	ثيتاتوس	في نظرية المعرفة
21	بارمنيدس	في المنطق
22	السوفسطائي	في التعريفات
23	السياسي(رجل الدولة)	في وظيفة السياسي
24	فيلابوس	في اللذة والخير
25	طيماوس	في اصل العالم
26	اقريثياس	في اصل الانسان
27	القوانين	في تنظيم المدينة
28	ملحق القوانين	ملحق رياضي للقوانين

تشتمل المحاورات الافلاطونية على ثلاثة مظاهر متمازجة بدرجات متفاوتة ، فالمحاورة هي مسرحية ، ونقاش ، وعرض متسق ، انها تدخل في عداد الادب التمثيلي أو المسرحي عندما يشير افلاطون الى المكان والزمان والشخصيات والظروف كما في بروتاغوراس وغيرها ، أو تندرج المحاورة في سياق قصة كما في المأدبة ، وهناك محاورات اخرى يختفي فيها كل اثر للبناء الدرامي مثل فيلابوس والسوفسطائي، وابرز شخصيات المحاورات على الاطلاق هو سقراط معلم افلاطون ، ومن بعده شخصيات على صلة بسقراط من سفسطائيين أو فلاسفة أو فتيان من أسر عريقة في اثينا ورجال سياسة من المدينة ، أي اشخاص معروفون من قبل الجميع والعديد منهم لا يزال على قيد الحياة زمن المحاورة ، واكثرهم يمت بصلة الى افلاطون ، وفي المحاورات المتأخرة أي محاورات الشيخوخة وحدها هناك شخصيات خيالية مثل شخصية الغريب في السوفطائي وكذلك في القوانين او فيلابوس. وغالباً ما نجد جمع غفير من الخطباء والسوفسطائيين والشعراء والمتنبئين يلتئمون حول سقراط ليضع حكمتهم ومعارفهم على محك الاختبار، ويحاكي افلاطون شخصياتهم محاكاة ساخرة ليكشف عن زيف حكمتهم وبطلان معارفهم ، وتتميز عدة محاورات بنفس درامي متصاعد الى حد بلوغ العقدة كما يجري في البناء الدرامي المسرحي، ولعل محاورة غورغياس هي اوضح مثال على الحركة الدرامية. وسواء انطوت المحاورة أو لم تنطو على قمة مسرحية تمثيلية فان النقاش (الجدل) يبقى الجزء الاهم والجوهري من المحاورة (برهييه : 1987 ، 139) ذلك ان الجدل (الديالكتيك) والمعرفة الديالكتيكية تبقى هي المعرفة الفلسفية بمعناها الكامل عند افلاطون ولا يمكن ان يحصل الانسان على العلم بمعناه الحقيقي الا عن طريق الديالكتيك وباستخدام الاستقراء، وهو ان يلاحظ الانسان كل الجزئيات ثم يرتفع من هذه الجزئيات الى الصفة العامة التي تربطها بعضها ببعض (بدوي : 1954 ، 142).

والمنهج الديالكتيكي هو الذي يستبعد الفروض ويرتفع الى المبدأ لكي يؤكد النتائج المترتبة عليه ، وهو الذي ينتشل عين النفس من وهدة الجهل الذي تكون مغمورة فيه فيترفع بها الى اعلى مستخدماً في ذلك كل العلوم (مطر : 1974، 187).

أما المظهر الثالث للمحاورات فهو العرض المتسق فهناك عرضين في عدد من المحاورات تجمع بينها آصرة قربى متينة هما : الخطاب الذي يدافع عن اطروحة ما ، والاسطورة التي تروي وتسرد ، اما الخطاب الذي يذود عن قضية فيوضع في العادة على لسان محاوري سقراط وغالباً ما يتلبس طابع المحاكاة الساخرة ، ثم الاسطورة التي لا تعدو ان تكون بادئ ذي بدء حلية للخطاب ، غيران افلاطون يضع اساطير على لسان سقراط لها سمات تباين سمات الاسطورة التي هي مجرد حلية خطابية ، ومحاورة طيماوس على سبيل المثال التي لها شكل قصة أو اسطورة تروي كيف تكونت نفس الكون وكيف كونت لنفسها جسماً وقد كان لهذه الفلكيات الدينية في الحقبة التالية تأثير لايستهان به (برهييه : 1987، 144).

في كل الاحوال وباختلاف المحاورات الافلاطونية وتعدد موضوعاتها فان افلاطون لا يترك مجالاً لتأويل الغاية من فلسفته ، ففي ابرز هذه المحاورات واهمها كما في السياسي، والجمهورية ، والقوانين، يصرح تصريحاً لايخالطه ادنى شك بانه دخل الفلسفة عبر السياسة ومن اجلها وبأن غاية فلسفته هي غاية سياسية، فالفلسفة تبحث في القواعد السياسية الحقيقية وترسم أنموذجها وانموذج النظام العادل الذي يحقق اذا ما تجسد العدالة في المجتمع وفي الفرد ويخلص الاجيال البشرية من ويلاتها وامراضها (حرب : 1980، 6).

الفصل الثاني : نظرة عامة في كتاب الجمهورية

1-شكل الكتاب (المحاورة)

يؤكد الفيلسوف والباحث العربي عبد الرحمن بدوي على اطلاق اسم (السياسة) على محاورة افلاطون التي ترجمت واشتهرت باسم (الجمهورية) ويرى ان ذلك هو خطأ فاحش (بدوي : 1984،

154) لكن على الرغم من هذه الملاحظة فان الشائع عند خاصة المترجمين والباحثين والاكاديميين وعموم القراء هو اسم (الجمهورية) او (جمهورية افلاطون).

والجمهورية محاورة تعود الى مرحلة ما بعد إنشاء الاكاديمية وقد وضع القدماء تحت العنوان اليوناني عنوانين آخرين يفسران موضوع المحاورة احدهما (الجمهورية) ، والاخر (في العدالة) والاول يوحي بان موضوع المحاورة السياسة ، والثاني الاخلاق ، والواقع انه من المجازفة تحديد موضوع الجمهورية ، انها تشمل كل شيء يتعلق بالانسان من اخلاق ، وسياسة ، وتربية ، وفلسفة ، واجتماع ، وتاريخ ، واذا كانت تبدأ بالسؤال عن العدالة ما هي فالجواب عن ذلك في المدينة الفاضلة كلها ، المدينة العادلة ، فالانسان الفرد ، والانسان الاجتماعي ، يسيران جنباً الى جنب ولايمكن فصل احدهما عن الاخر ، كما يجب ان ننظر الى المجتمع من خلال الفرد ، وعدالة الفرد هي عدالة الدولة ، وينبغي ان تبحث العدالة في المدينة قبل ان تبحث في الفرد لانها في المدينة اوضح ، كأنها اشبه بكتاب ذي حروف كبيرة يسهل قراءتها ، ثم بعد ذلك يقرأ المرء العدالة في الفرد ، وهي ذات الحروف الاصغر (الاهواني : 1971 ، 133).

تتألف محاورة (الجمهورية) من عشرة كتب تقسم بحسب موضوعاتها وطبيعتها الى خمسة اقسام هي:-

أ. القسم الاول: يشتمل على الكتب الاول وهو مقدمة للبحث يثير فيه سقراط المسألة الاتية: ما هي العدالة ؟

ب. القسم الثاني: يشتمل الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي تحتوي على اركان الدولة المثلى وخصوصاً تعليم طبقة الحكام ويقوده ذلك الى تحديد المقصود بالعدالة ، في الدولة اولاً ثم في الفرد.

ج.القسم الثالث: يشتمل الكتب الخامس والسادس والسابع وهي في رأي بعض النقاد استطراد وتوسع في موضوع الكتاب الاساسي، ويضم هذا القسم بحثاً في الشيوعية الخاصة بطبقة الحكام وعلى وجوب تقليد زمام الحكم للفلاسفة ، كما يشتمل على نظام لتعليم الملوك الفلاسفة تعليماً عالياً. ويستغرق تعليم الفلاسفة كتابين هما السادس والسابع وفيهما استطراد من الكتاب الرابع.

د. القسم الرابع: يشتمل على الكتابين الثامن والتاسع وفيهما يقف البحث على انحطاط الحكومة المثلى والفرد الامثل والصور التي تتخذها في انحطاطها وهي اربعة اشكال تنتهي بالاستبداد وهو صورة التعدي التام تقابله العدالة التامة في الدولة المثلى.

هـ. القسم الخامس: ويشتمل على الكتاب العاشر ويتضمن النتائج التي سبق وان ادى اليها

البحث في الفصول السابقة ، ويختتم ببحث عن خلود النفس وجزاء الفضيلة ووصف ليوم الدينونة (خباز: 1929 ، ك).

2- غرض المحاورة

حقيقة العدالة وبناء الدولة المثلى أو الفاضلة هو الغرض الرئيس لمحاورة (الجمهورية) اذ ان سقراط وهو المحاور الاول يقوم بتفنيد الحدود والتعريفات التي قدمها بعض المتحاورين في حقيقة العدالة، وذهب اثنان من اتباعه وهما (غلوكون) و(اديمنتس) الى ان الانسان بفطرته لايميل الى العدالة اكثر من ميله الى التعدي ويقدمان لاثبات ذلك أدلة قوية وطويلة من اجل احراج سقراط وتحديه ، ومحاورة (الجمهورية) باكملها هي رد سقراط على هذا التحدي وقيامه بتحديد العدالة واثبات كيف ان العدالة افضل من التعدي ، ويبدأ لهذا الغرض من الدولة المثلى وصولاً الى الفرد لأن العدالة تتجلى بأوضح صورها في الكيان الاكبر وهي الدولة المثلى التي تتألف من ثلاث طبقات : الحكام ، والحراس ، والعمال مثلما تنقسم النفس الى ثلاث مناطق : العقلية ، والغضبية ، والشهوية ، فالحكمة هي فضيلة الاولى ، والشجاعة فضيلة الثانية والاعتدال فضيلة الثالثة.

وهدف افلاطون على لسان استاذه سقراط من المحاورة هو الوصول الى الحكم التالي: مالم يصبح الفلاسفة حكاماً في بلادهم او يصبح الذين نسميهم حكاماً فلاسفة فلن تهدأ حدة الشرور التي تصيب الدولة ، أي ان فساد الدول وشرورها ومظالمها وتعديها لن ينتهي الا بعد ان يحكم الفلاسفة او يتفلسف الحكام (افلاطون : الجمهورية ، الكتاب الخامس).

3- المشكلات والحلول

في تحليله العميق لكتاب (الجمهورية) المنشور ضمن ترجمة حنا خباز للكتاب عام 1929 يقسم الباحث والمفكر فؤاد صروف المشكلات او المسائل التي تثيرها (الجمهورية) الى ثلاث:

أ.المسألة الادبية : وتناقش مسألة الثروة والكرم والامانة والعدل ، وهل نطلب القوة او الحق ، وهل خير لنا ان نكون صالحين او نكون اقوياء؟

ب.المسألة السياسية: وتناقش اشكال الحكومات الارستقراطية والاوليغاركية والديمقراطية والاستبداد وكيف يميل كل شكل من اشكال الحكومة الى الانحطاط والاندثار اذا تمادى في المبدأ الاساسي الذي يقوم عليه.

ج. المسألة السايكولوجية : وتبحث في طبيعة الانسان لأن هذه الطبيعة هي التي تكمن وراء المشاكل السياسية ، ولكي نفهم السياسة يجب ان نفهم اولاً الفلسفة النفسية لان الرجل كالدولة ، والحكومات تختلف كأختلاف اخلاق الناس ، والدول مكونة من الطبائع البشرية ، وتقدم (الجمهورية) حلولاً لهذه المشكلات والمسائل منها (الحل السايكولوجي) الذي يعتمد نظاماً خاصاً للتهذيب يبدأ منذ الطفولة ويتضمن مراحل للتعليم والتربية من اجل اعداد حكام

الدولة المثلى او الفاضلة، وكذلك (الحل السياسي) القائم على الموهبة ورفض ديمقراطية صناديق الانتخاب واقرار ديمقراطية المدارس والتعليم والتهذيب، وبذلك فأن صاحب الموهبة لا يطمس موهبته الفقر ولا ضعف النفوذ ، ولا امتياز لطبقة على طبقة اخرى ، فلا المنصب ولا الثروة ولا الامتيازات تعني في هذا الميدان ، ومجال التقدم مفتوح امام الموهبة التي هي اسمى المواهب كائناً صاحبها من كان، والقصد موهبة الحكم والقيادة. اما الحل الثالث (الحل الادبي) فيقوم على ان العدالة في الدولة هي ان يلزم كل فرد العمل الذي يجيده وان يتناول منها قدر ما يعطيها ، والعدالة في الفرد هي التعاون الفعال بين العناصر المختلفة التي تتألف منها طبيعة الانسان ، فكل انسان عالم من الرغبات والشهوات والاراء والعواطف فاذا اتسقت هذه الظاهرات النفسية وتعاونت ظهر صاحبها رجلاً حكيماً عادلاً واذا اختل التوازن بينها وسيطرت العاطفة على سائر القوى أو نزل منها العقل مجرداً منزل الملك المستبد تصدعت اركان الشخصية وسرى اليها الفساد ، فالعدالة هي النظام والجمال في النفس، انها للنفس بمقام الصحة للجسد. وهكذا فان افلاطون يرى ان العدالة ليست القوة المجردة وانما هي القوة المنسقة ، وهي ليست حق الاقوى ولكنها تعاون كل الاجزاء تعاوناً فعالا متسقاً على مافيه خير الكل.

4- الدولة الفاضلة

يعد افلاطون من الفلاسفة المتفائلين في امكانية قيام الدولة– المدينة السعيدة الفاضلة ، وتخيلها وحلم بها بتأثير المفاسد والشرور التي عاشها وشاهدها في زمانه ، وذكر في جمهوريته شروط قيام الفردوس الارضي ونسج كثير من المفكرين على منواله (صليبا : 1951 ، 59)

ويرى افلاطون على لسان سقراط في محاورة (الجهورية) ان المدينة تنشأ بسبب عجز الفرد عن سد حاجته بنفسه ، وافتقاره الى معونة الاخرين ، ولما كان كل إنسان محتاجاً الى معاونة اخيه في سد حاجته ، وكان لكل منا حاجات كثيرة ، لزم ان يتألب عدد كبير منا من صحب ومساعدين ، في مستقر واحد ، فنطلق على ذلك المجتمع اسم مدينة أو دولة ، فيتبادل اولئك الاشخاص سائر الحاجات ، فالاجتماع الانساني ضروري ، لانه لابقاء للانسان إلا به . وحين شيد افلاطون دولته الفاضلة فأنه لم يكن واهماً بامكانية وجود مثل هذه الدولة او سهولة تحقيقها في الواقع ، بل كان مدركاً انه لا يمكنه ان يحقق كل ما عرضه في بناء هذه الدولة وان كل ما فعله هو الاهتداء الى الوسائل التي تتيح اقامة دولة شديدة الشبه بمثل الدولة الاعلى الذي اقامه والذي يتجاوز عيوب الدول التي عاصرها . ومع ذلك فانه كان ينظر الى إمكانية تحقيق مثل هذه الدولة نظرة جدية ، فكما لاحظ هيجل وتابعه اكثر المؤرخين كان افلاطون ينظر الى هذه المدينة الفاضلة بحسبانها شيئاً ممكن التحقيق (بدوي : 1954 ، 224).

ان الدولة الفاضلة التي اقامها افلاطون مبنية على فكرة تحقيق العدالة، أي اقامة دولة منظمة تنظيماً مثالياً ، وقد راح يستوحي نظرياته الفلسفية لاقامة ذلك النظام ، وراح يتدبر النفس البشرية واذا فيها ثلاث قوى ، قوة رفيعة هي العقل ، وقوتان ادنى هما النفس الغضبية ومركزها القلب ، فالنفس الشهوانية ومركزها البطن ، وصحة النفس بتوازن قوها ، فاذا سيطر فيها العقل على الشهوات عاشت في طمأنينة وسعادة ، ومن هذه الحقيقة استمد افلاطون لمدينته فكرة الطبقية ، فهناك اذن طبقات ثلاث : الطبقة الذهبية أي طبقة الحكام ذوي

الأمر والتدبير ، والطبقة الفضية أي طبقة الجنود ذوي الحراسة والدفاع ، والطبقة النحاسية ، أي طبقة العمال ذوي الانتاج ، ومن البديهي ان تكون الطبقة الذهبية مؤلفة من اناس يسيطر عليهم العقل ، والطبقة الغضبية من ذوي الشجاعة ، وان تكون الطبقة الثالثة مؤلفة ممن تسيطر عليهم الشهوات وتكون العفة فضيلتهم الاولى. ولكي تنعم المدينة بالصحة والسعادة وتخيم في اجوائها العدالة ، لابد من سيطرة ذوي العقول ، وهكذا يكون النظام في المدينة مثل النفس فتخضع الطبقة النحاسية للفضية والفضية للذهبية ، ويسير الجميع على هدى العقل النير (افلاطون : الجمهورية ، الكتاب الرابع والكتاب السادس).

الفصل الثالث : التعليم والتهذيب في الجمهورية

1.موقف افلاطون من التربية الاسبرطية:

شن افلاطون حملة شديدة على التربية الاسبرطية والمقصود بها التربية السائدة في مدينة اسبرطة ذات النظام العسكري ، مقابل نظام اثينا الديمقراطي مما اعطاها تفوقاً في الحرب التي انتهت بانتصار اسبرطة على اثينا ، وعلى الرغم من ذلك فأن افلاطون ينتقد التربية الاسبرطية لانها تهتم بالجسم على حساب الروح (بدوي:1954 ، 224) كذلك يرفض الفنون التي تحتوي على افكار مخالفة للفضيلة ، والموسيقى التي فيها ميوعة ، والشعر الذي يتهكم بالالهة او يحط من قدرهم ، حتى انه دعا الى طرد الشعراء من جمهوريته وعلى رأسهم هوميروس شاعر الاغريق الاعظم صاحب ملحمتي (الالياذة) و (الاوديسا) لانه صور الالهة يشنون الحرب بعضهم على بعض ، ويكيدون ، ويتقاتلون ، وغير ذلك من الاساطير المشوهة التي لا يجوز للامهات ان يلقينها على مسامع اولادهن فيغرسن في قلوب صغارهن الخوف والجبن (افلاطون : الجمهورية الكتاب الثاني). لقد كان للمواطن في اسبرطة عمل واحد وهو الحرب التي كان يعد لها منذ ولادته ، ذلك لان رؤساء القبيلة كانوا يفحصون المواليد ليلقوا في العراء بمن كانت به علة ، ولا يسمح بالبقاء إلا لمن يرونه قوياً ، وكان الصبيان كلهم يربون معاً في مدرسة

واحدة كبيرة حتى سن العشرين ، وهدف التربية عندهم هو ان تجعل منهم رجالاً أقوياء لا يأبهون للالم ، ويخضعون للنظام ، ولم يكونوا ينصتون للهراء الذي يقال عن التربية الثقافية او العلمية ، لان هدفهم الوحيد هو أن يخرجوا جنوداً صالحين ، يكرسون انفسهم للدولة دون سواها (رسل، 1967: 162) ولذلك لم يكن من المستغرب ان يشن افلاطون حملته الانتقادية على هذه التربية التي لا تهتم الا بالجسد وقوة الانسان الجسمانية ولا تعير أي اهتمام للنفس والعقل وهما عند افلاطون جوهر الانسان الحقيقي الذي يقبع تحت بدنه الزائل ، وان كان قد تأثر بالانظمة الصارمة المشبعة بالروح العسكرية واعجب بها بعد انتصار اسبرطة على الديمقراطية الاثينية ، هذه الديمقراطية التي لم تسلم ايضاً من انتقاداته اللاذعة وملاحظاته القاسية عن مجتمعه ومهاجمته للنظام الديمقراطي في اثينا ، ولطريقة الحياة كلها في المجتمع الاثيني الذي أدت مبادئه الفاسدة اساساً الى فساد كل مؤسساته وفساد حياته السياسية والاجتماعية ، ونجد هذا الهجوم واضحاً في محاورة جورجياس (الخطيب) التي يوجه فيها نقداً قاسياً لمجتمعه (افلاطون : الخطيب 1966).

2. مراحل التعليم ونظام التهذيب : لابد من الاشارة الى أن المقصودين بتطبيق نظام التعليم والتهذيب الى نهايته في جمهورية افلاطون ، هم اولئك الذين يتم اعدادهم ومعاملتهم معاملة خاصة من أجل تأهيلهم لمهمة الحكم ، كما ان التهذيب يشتمل عنصرين مترابطين هما النفس والجسم ، والنفس هي غاية الغايات في منهاج التعليم والتهذيب عند افلاطون مع اعطاء الاهمية للجسم ، لان الفردوس الافلاطوني الارضي يبدأ من جسم الانسان ، والخطوة الاولى في التعليم هو التعليم العام الذي لا يستثنى احدا من الصغار ، وقد توسع افلاطون في الكلام عن نظام التربية والتهذيب ومناهج ومراحل التعليم حتى لقد ذهب الكثيرون الى ان (الجمهورية) ليست كتاباً في السياسة بقدر ما هي كتاب في التربية والتعليم (مرحباً : 1981 ، 144).

أن تربية الاحداث هي التي تكشف عن مواهبهم واستعداداتهم وتساعد على استخلاص الصالح منهم ، لذلك يجب اخضاعهم منذ نعومة اظفارهم للتربية والتدريب على الرياضة البدنية لتنمية اجسامهم ، والموسيقى والادآب والفنون لتهذيب نفوسهم حتى يشبوا على درجة كاملة من القوة الجسمية والعقلية والروحية والاحساس بالجمال والتناسق ، وفي هذه المرحلة يتم تعليمهم اصول الدين والايمان بالله وخلود النفس والقصص التي تحث على الخير والفضيلة ومكارم الاخلاق والعادات وتمنع عنهم اساطير هوميروس وهزيود التي تولد الجبن والخور وتثبط العزائم بما ترسم من اهوال الحروب وفضاعة الموت وتشوه اسماء الالهة بما تنسب لهم من خصومات وافعال قبيحة لاتليق بهم ، كذلك يستبعد الشعر المسرحي الذي تفرض طبيعته على الشاعر التلون بالوان مختلفة من الشخصيات والطباع ، ويتم استخدام الموسيقى لتغيير وتليين قساوة النفس لان الاقتصار على الرياضة البدنية سيخلق جيلاً خشني الطباع فوق حد الاحتمال وكذلك الاقتصار على الموسيقى سيخلق جيلاً لينا اكثر مما يليق ، ذلك ان الخشونة ثمرة طبيعة للعنصر الحماسي في النفس الذي اذا احسن تهذيبه كان صاحبه شجاعاً ، اما اذا تجاوز حده اللازم كان شرساً مشاغباً ، وكذلك المبالغة في الموسيقى والاداب والفنون فاذا تجاوزت

حدودها فانها غالت في الرقة واللين فزادت نعومة عما يليق ولكنها اذا هذبت تهذيباً صحيحاً افرغت في قالب اللياقة ، فالموسيقى والايقاع يحبو ان النفس والجسد صحة واتساقاً ولكن التمادي في الموسيقى كالتمادي في الالعاب الرياضية يفسد النفس ، لذلك الزم افلاطون على الحكام ان يجمعوا بين هاتين الصفتين ، القوة والشجاعة ، واللين والرقة (افلاطون : الجمهورية الكتاب الثالث).

فاذا ما بلغ الاحداث سن الثامنة عشرة انقطعوا عن الدراسة وانصرفوا الى التمرينات العسكرية والرياضية والبدنية طوال سنتين ، حتى اذا بلغوا العشرين وقد ارهفت اذواقهم بالموسيقى والفنون الجميلة ، وقويت اجسامهم بالتربية الرياضية ، اصبحوا اهلاً لتلقى العلوم والمعارف ، فتجري لهم الدولة ذكوراً واناثاً امتحاناً لانتقاء القادرين على تحصيل العلوم العقلية ، فالمتخلفون في هذا الامتحان تسند اليهم الاعمال اليدوية وينضمون الى طبقة العمال ، واما الناجحون فيتابعون دراساتهم ويتلقون العلوم الرياضية والفلسفية لمدة عشر سنوات اخرى، فاذا أنفضت اجرت لهم الدولة امتحاناً عسيراً لايفوز فيه الا اقلية من الاكفاء فالمتخلفون. في هذا الامتحان يولون مناصب في الجيش وشؤون الدفاع ، واما النخبة الممتازة فيدرسون الفلسفة خمس سنوات اخرى توكل اليهم بعدها القيادة الحربية والحكم في الدولة ويتمرسون بتجارب الحياة العملية خمس عشر سنة هي المحك الاخير لقدراتهم ، فاذا بلغوا الخمسين وقد هذبهم السن والخبرة وصفت مشاعرهم وامتلأت نفوسهم بالعلم والحكمة ، اصبحوا جديرين بان يتسلموا زمام الحكم بايديهم. وهؤلاء هم الفلاسفة الحكام او الحكام الفلاسفة ، وهم الغاية المنشودة والمثل الاعلى في رئاسة المدينة الفاضلة.

3- اقسام النفس وتقسيم العمل:

ان تقسيم العمل في جمهورية افلاطون مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقسيمه الثلاثي للنفس ويمكن توضيح ذلك على الشكل التالي:

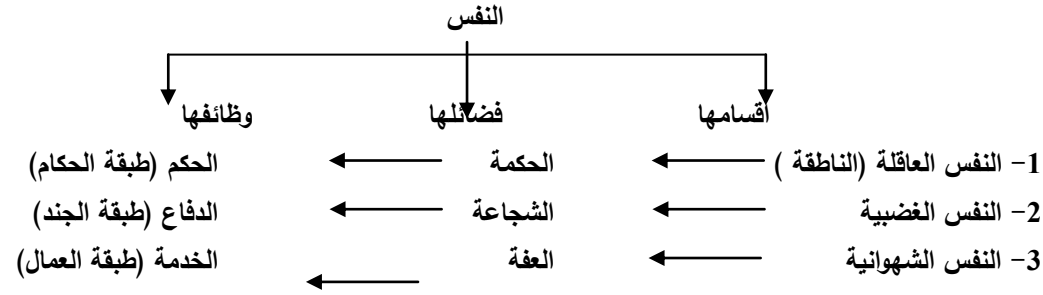

ووفق ذلك فان الذين يتخلفون في الامتحان الاول بعد بلوغهم العشرين ستوكل اليهم الاعمال التي تحتاجها المدينة لتوفير احتياجات الناس من مأكل ومشرب وملبس ومنهم الفلاحون والنجارون والصاغة والحدادون والخياطون وغير ذلك من المهن ، أي انهم يكونون الطبقة العاملة ، وهم كافة الشعب الذين يمثلون النفوس الشهوانية التي فضيلتها العفة ، أما الناجحون في هذا الامتحان فانهم يتابعون دراساتهم الفلسفية والعلوم العقلية والرياضية حتى اذا ما انقضت عشر سنوات فانهم سيخضعون لامتحان عسير بالغ الصعوبة لا يجتازه الا الاكفاء الاذكياء ، والفاشلون في هذا ستعهد

اليهم مهمة الدفاع عن المدينة وتولي مناصب وشؤون العيش والحرب ، وهم اصحاب النفوس الغضبية التي فضيلتها الشجاعة . اما الناجحون وهم قلة من الاكفاء فيدرسون الفلسفة لمدة خمسة سنوات وبعدها توكل اليهم اعمال القيادة الحربية والحكم من اجل ان يتمرسون ويكتسبون الخبرة العملية والتجارب ، ويستمرون بذلك لمدة خمسة عشر عاماً لصقل قدراتهم فاذا ما بلغوا الخمسين من العمر وقد صقلتهم التجارب وتهذبت نفوسهم واكتسبوا العلوم والمعارف فانهم هم الذين سيتولون الحكم ، وهم اصحاب النفوس الناطقة التي فضيلتها الحكمة والذين تتوفر فيهم الفضائل السقراطية الاربع (الحكمة ، الشجاعة، العفة، العدالة).

فالفرد حكيم بفضيلة الحكمة في عنصره العقلي ، وشجاع بفضيلة الشجاعة في عنصره الحماسي، وعفيف حين يسود عنصره العقلي مع القبول التام من جانب العنصرين الاخرين ، واخيراً ،هو عادل حين تقوم كل من هذه الثلاث بعملها الخاص ، غير متداخلة في عمل غيرها ، فالعدالة نوع من الوئام الطبيعي ، وهي حال العقل الصحيحة ، والتعدي نوع من التنافر غير الطبيعي او المرض (افلاطون : الجمهورية ، الكتاب الرابع) ، والعدالة هي ان يتفرغ كل فرد لعمله الخاص بالطريقة المناسبة دون الانشغال باعمال الغير، وهي مثابرة كل فرد على القيام بوظيفته والعمل الخاص به الذي اعدته له الطبيعة ، والجور والتعدي يكون في التطاول على وظائف الغير ، كما انها تعني التوافق الطبيعي بين الطبقات على من يجب ان يحكم ومن يجب ان يطيع ، وان افدح ضرر يلحق بالدولة اذا تم تجاوز الحدود وتبادل المهن ، ان في ذلك خراب المدينة لان احتلال طبقة مواقع طبقة اخرى يسبب للدولة افدح الضرر وهو جريمة كبرى (افلاطون : الجمهورية، الكتاب الثالث الرابع).

لقد كانت فكرة العدالة هي محور فلسفة افلاطون الاخلاقية والسياسية واذا كانت العدالة في الفرد لا تتم ما لم يسيطر العقل ويحكم ، فكذلك العدالة في الدولة لاتتم ما لم يسيطر الفلاسفة ، فلا يمكن القضاء على شقاء النوع الانساني وتصحيح اوضاعه الا بحكومة الفلاسفة، لانهم وحدهم يعرفون الفضيلة في القول والفكر والعمل. الا ان المتبصر في جمهورية افلاطون يرى أوهاماً واخطاءً أهمها ، كيف تستقر الطبقات في دولة عادلة ويستقر الافراد ضمن هذه الطبقات والصعود والهبوط امر طبيعى بين البشر؟ وهل نجد دائماً فيلسوفاً يحكم المدينة ، ومن يوصله الى الحكم ، وهل كل فيلسوف حاكم صالح؟ (قمير : 1967 ، 84) وغير ذلك من الاسئلة التي تضع البرنامج التربوي والنظام التهذيبي الافلاطوني موضع التساؤل وصولاً الى إجراء تقويم لهذا البرنامج بمراحله المتعددة ليكون منسجماً مع الطبيعة البشرية ونزعات الانسان ، وسعيه المستمر للارتقاء بموقفه منطلقاً من مبادئ الحرية والمساواة والعدالة التي تمثل ركائز اساسية للحياة الانسانية.

المقترحات والتوصيات

1.دراسة برنامج التعليم ونظام التهذيب الافلاطوني مثلما ورد في محاورة (الجمهورية) دراسة علمية تربوية دقيقة بغية تحديد مساراته المهمة التي يمكن ان تكون اساساً مسانداً لاي برنامج تعليمي وتربوي معاصر.

2.النظر الى البرنامج التربوي والتهذيبي الافلاطوني بموضوعية تأخذ بنظر الاعتبار زمن كتابة محاورة (الجمهورية) وطبيعة المجتمع الذي وضع من اجله ذلك البرنامج ، وطبيعة التحديات التي كانت تواجه المجتمع الاثيني زمن افلاطون، وهي تحديات يمكن ان تواجه أي مجتمع بشري آخر في أي زمن ومكان.

3.الاخذ ببعض برامج الاعداد الجسماني النفسي للافراد وسيما تلك التي تهتم ببناء وتقويم الجسد عبر الرياضة المناسبة ولا تهمل بناء وتقويم النفس عبر التعلم والتهذيب النفسي والموسيقى المناسبة التي تبعث الانسجام في النفس مثلما تؤدي الرياضة الى الانسجام في الجسد.

4.الاستفادة من افكار افلاطون التعليمية والتربوية في وضع برامج معاصرة للتربية والتعليم تأخذ بعين الاعتبار الافكار والفلسفات والرؤى الجديدة لفلاسفة التربية والتعليم في الفلسفتين الحديثة والمعاصرة.

5.بناء أنظمة تعليمية وتربوية تستند الى بناه الفكر الانساني والفلسفي الاوائل وفي مقدمتهم افلاطون الذي يعد فيلسوفاً شاملاً تناول في محاوراته مختلف القضايا الاخلاقية والسياسية والتعليمية والتربوية ناهيك عن القضايا الميتافيزيقية والطبيعية والوجودية والكونية ، مع مراعاة طبيعة وقيم وتراث المجتمع الذي توضع من اجله تلك الانظمة.

6.النظر في امكانية تدريس النظام الافلاطوني في التربية والتعليم والتهذيب بمراحله المتعددة ضمن المناهج الدراسية المقررة للطلبة في بعض مراحل التعليم الثانوي او الجامعي على ان يكون ذلك ضمن منهاج شامل لمختلف الافكار والفلسفات التربوية التعليمية ، وفي المقدمة منها نتاجات الفلاسفة

والمفكرين والتربويين العرب والمسلمين القديمة والحديثة والمعاصرة المكرسة لاغراض الاعداد والتهذيب الاخلاقي والتربوي.

المصادر :

1.الاهواني ، احمد فؤاد : افلاطون ، نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف بمصر 1971.

2.افلاطون : جمهورية افلاطون ، نقلها الى العربية حناخباز، مطبعة المقتطف بمصر 1929 (مع تحليل للاستاذ فؤاد صروف).

3. بدوي ، عبد الرحمن : افلاطون ، خلاصة الفكر الاوربي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1954.

4. بدوي ، عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت1984.

5. برهييه ، أميل : تاريخ الفلسفة ، ج1 الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت 1987.

6. حرب ، حسين : الفكر اليوناني – افلاطون ، دار الفارابي ، بيروت 1980.

7.رسل ، برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية ، ج1 ، ترجمة زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة 1954.

8. صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، ج2 ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1973 .

9. طرابيشي ، جورج : معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت .1987

10.مرحبا ، محمد عبد الرحمن : من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ، منشورات عويدات بيروت .1970

11. مطر ، اميرة حلمي : الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1974.

12. قمير ، يوحنا : اصول الفلسفة العربية ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، .1967

13. Toylor A.E : plato, the man and his work, pp562, 5th. Ed .london 1948.